# هــــذه عـقـديـتـنـا

للشيخ
**أبي محمد المقدسي**

**منبر التوحيد والجهاد**
* * *

http://www.tawhed.ws
http://www.almaqdese.net
http://www.alsunnah.info
http://www.abu-qatada.com
http://www.mtj.tw

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الـرحمن الـرحيم، مالك يـوم الدين، والصلاة والسـلام على خـاتم الأنبيـاء والمرسـلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد...

فهـــذا مختصر لما نعتقـــده، ونـــدين الله به في أهم أبواب الـدين... كتبته في سـجني بعد أن بلغـني أن أناسـاً ينسـبون إلينـا، ويقوّلوننا ما لم نقله في يـوم من الأيـام، خصوصاً في أبواب الكفر والإيمان.

ولم أكن من قبل مهتمـــــاً بالكتابة في مثل هـــــذا الموضـــوع، وذلك لأن علماءنا قد كفَـــوْا فيه ووَفُّوا، ولأن طـــالب الحق المنصف بإمكانه التعـــرف إلى أقوالنا من كتاباتنا المفصّـــلة، إلى أن طلب مـــني ذلك بعض إخـــوة التوحيد ممن كان يصلنا ويـتردّد على زيارتنا في السـجن، وذلك بعد أن التقى بأنـــاس لم يتـــبينوا أقوالنا في بعض أبواب الكفر والإيمان.

فبـادرت وأجبت ذلك الأخ الفاضل إلى طلبه من بـاب ضبط المسائل، والتعريف بمجمل وأهم ما نعتقده ونـؤمن به، لعلي أن أسـدّ بـذلك البـاب على من يبحث عن صـيد شارد في بعض العمومات، أو يقوّلنا ما لم نقله، أو ينسب إلينا ويُلزمنا بما ليس هو من مذهبنا.

خصوصاً وأنني أعـرف أن بعض كتاباتنا يتـداولها كثـير من المبتـــدئين في طلب العلم الـــذين قد تختلط عليهم بعض المســـائل؛ خصوصـــاً عند بعض الإطلاقـــات أو العمومـــات الـــتي قد يقرؤونها في كتاباتنا الدعوية الـــتي نخاطب في كثير منها الطواغيب وأمثالهم من المشـرعين وأوليائهم من عسـاكر الشـرك والتنديد ونحـوهم ممن أمر الله تعالى بترهيبهم والإغلاظ عليهم.

- فربما أبقينا بعض نصــوص الوعيد المطلقة على ظاهرها دون تأويل.

- أو أطلقنا أحكاماً عن نـوع العمل فلم يفـرِّق من قصَّـــــر في طلب العلم بين ذلك وبين تنزيل الحكم على الأعيان.

- أو أبقينا بعض الإطلاقات على ظاهرها دون تفصيل أو تأويل ليكـون ذلك أدعى لزجر المخـاطبين الـذين دأبهم البحث عن الرخص والمخارج التي تهون لهم الموبقات.

وذلك تأسّـياً بطريقة كثـــير من الســـلف في إطلاق نصـــوص الوعيد كما أطلقها الله تعـــالى، وإمرارها دون خـــوض في تأويلهـــا، لتكـــون أدعى للزجر كما أرادها الله تعـالى، فـإن معصـيةً قَـرن الله اللعنة بها ليست كغيرهـا، وإن عملاً وصفه الله أو سماه رسول الله صـلى الله عليه وسلم بـالكفر ليس كسـائر الأعمـال، إلا أن يخشـوا سـوء الفهم من المخــاطبين فيلجــؤون إلى التفصــيل، وكــذلك نفعل نحن في كتاباتنا المفصلة.

كما أعلم أن بعض غلاة المكفــرة يتــداولون بعض ما نكتبه بحثـاً عمّا ينصر مـذاهبهم، وكلي ثقة بـأنهم لو كـانوا طلبة حق منصفين فلن يقعوا على شيء مما يطلبـون، إلا أن يبتروا مقالاتنا بتراً.

كما أعـرف أن كثـيراً من خصـومنا من مرجئة العصر وأشباههم يفتشون فيها، لا بحثاً عن الحق، وإنما بحثـاً عن إطلاقـات ربما نقلناها عن بعض العلمـاء والأئمة والـدعاة، ليشغبوا بها علينا سعياً منهم وراء تشـويه دعوتنـا، بتحميل كلامنا ما لا يحتمله، وبإلزامنا ما لا نلتزمه.

**فإلى هؤلاء جميعاً أقول...**

اتقـوا اللـه، وقولـوا قـولاً سـديداً، وتـذكروا حـديث المصطفى عليه الصلاة والسلام: (ومن قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال حتى يأتي بـالمخرج مما قال)[1].

**وأقول معلناً دون أدنى حرج...**

أن كل قول قلته في كتاباتي ظهر أو سيظهر في يوم من الأيام أنه جاء معارضاً لنص من الكتـاب والسـنة خفي

[1] ردغة الخبال: عصارة قيح وصديد أهل النار، والحـديث رواه أحمد وأبو داود.

عليَّ، فأنا أول من يرجع عنـه، ويـبرأ منـه، ويعض بالنواجذ على ذلك النص.

وسيرى القـارىء لهـذه الورقـات أن كثـيراً من كلامنا فيها متأثر تأثراً واضـحاً بل ربما كـان بحروفه - مما تكـرر في "العقيـــدة الطحاوية"، أو "الواســطية"، أو نحوها من الكتب، ولا غرابة في ذلك فقد تأثرنا بهـذه الكتب في أول الطلب تـأثراً بينـاً، ودرسـناها ودرّسـناها مـراراً وتكـراراً بفضل الله تعالى.

وقد كان علماؤنا يطيلون في تلك الكتابات ويسـهبون في مســائل عمّت بها البلــوى في أزمنتهم، واحـــتيج إلى التوسع فيها رداً على طوائف من الفـــــرق المنحرفة عن طريق أهل السـنة والجماعـة، أو على بـدع اشـتهرت في أيامهم، وتراهم يختصرون في مسائل أخرى يمـرون عليها مـــروراً ســـريعاً، لقلّة الخـــوض أو الخبط فيها في ذلك الزمـــان، وربما ذكـــروا بعض مســـائل الفقه في طيّـــات كلامهم في العقيدة وذلك رداً على مخالفة أهل البـدع في تلك المســائل، ليمـــيزوا أهل الســـنة عن أهل البدعــة، وليسجلوا براءتهم منهم، ولو في تلك الفروع الفقهية التي غالباً ما تتفرع عن أصول شذ فيها أهل البدع.

ونحن في هذه الورقات، قد جرينا على هذا المنــوال، فلم نتعـــــرض لكل ما ذكرته تلك الكتب من مســـــائل الاعتقـــاد، وإنما أوردنا فيها أهم المهمـــات، وركزنا على أبـواب محـددة رأينا أن الخبط والخلط قد كـثر حولها في هـذا الزمـان، أو مسـائل خشـينا أن ينسب فيها - أو نسب فعلاً - إلينا غير الذي نقول.

والله نســأل أن يتقبل منا ســعينا، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكـــريم، وأن يثبتنا على عقيــــدة الفرقة الناجية أهل الســنة والجماعـــة، وأن يجعلنا من أصــحاب الطائفة المنصورة.

هو مولانا نعم المولى ونعم النصير

# توحيد الله

**نقول في توحيد الله...**

أن الله واحد لا شـريك لـه، لا في ربوبيتـه، ولا في ألوهيته، ولا في أسمائه وصفاته.

فلا خالق غـيره، ولا رب سـواه، ولا رازق ولا مالك ولا مدبر لهذا الوجـود إلا هـو، ونوحّد الله في أفعاله سـبحانه، كما نوحده بأفعالنا أيضاً.

فنوحده في عبادتنا وقصـدنا وإرادتنـا، فلا معبـود بحق إلا هو سـبحانه فنشـهد كما شـهد الله لنفسـه، والملائكـة، وأولـوا العلم، قائمـاً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم، مثبتين ما تثبته هذه الكلمة العظيمة من تجريد العبادة لله وحـده ولوازمها وواجباتها وحقوقهـا، نـافين ما تنفيه من أنواع الإشراك والتنديد وتوابعه.

ونـؤمن بـأن الغاية الـتي خلق الله تعـالى الخلق لها؛ عبادته وحـده، كما قـال تعـالى: {وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: 56].

وندعو إلى توحيـده سـبحانه في جميع أنـواع العبـادة، من سـجود أو ركـوع أو نـذر أو طـواف أو نسك أو ذبح أو دعـاء أو تشـريع أو غـيره... {قُـلْ إِنَّ صَـلاتِي وَنُسُـكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ العَـالَمِينَ * لا شَـرِيكَ لَـهُ وَبِـذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ المُسلِمِينَ} [الأنعام: 162 - 163].

وأمْر الرَّب سبحانه شامل للأمر الكوني والشرعي، وكما أن له وحده سبحانه الحكم الكوني القدري، فهو مدبر الكون القاضي فيه بما يريد وحسبما تقتضيه حكمته، فكذلك نوحده سبحانه في حكمه الشرعي فلا نشرك في حكمه أحداً، ولا نشرك في عبادته أحداً {ألا لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ الله ربُّ العَالَمِينَ} [الأعراف: 54].

فالحلال ما أحله، والحرام ما حرمه، {إنِ الحُكمُ إلاَّ للهِ أَمَرَ ألاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ إيَّاهُ} [يوسف: 40]، فلا مشرّع بحق إلا هو سبحانه وتعالى، ونبرأ ونخلع ونكفر بكل مشرّع سواه، فلا نبغي غير الله رباً، ولا نتخذ غيره سبحانه ولياً، ولا نبتغي غير الإسلام ديناً، فإن من اتخذ حَكماً ومشرّعاً سواه سبحانه، تابعه وتواطأ معه على تشريعه المناقض لشرع الله، فقد اتخذ غير الله رباً، وابتغى غير الإسلام ديناً، قال تعالى: {وَإنَّ الشَيَاطِينَ لَيُوحُونَ إلى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ} [الأنعام: 121]، وقال تعالى: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ الله} [التوبة: 31].

كما نوحّده سبحانه في أسمائه وصفاته، فلا سميَّ له ولا شبيه ولا مثيل ولا ندّ ولا كفء: {قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَد * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوَاً أَحَد} [الإخلاص: 1 - 4].

سبحانه تفرّد بصفات الجلال والكمال التي وصف بها نفسه في كتابه، أو وصفه بها نبيه صلى الله عليه وسلم في سنته، فلا نَصِفُ أحداً من خلقه بشيء من صفاته، ولا نشتق له من أسمائه، ولا نضرب له سبحانه الأمثال أو نشبّهه بأحدٍ من خلقه، ولا نُلحد في أسماء ربنا وصفاته.

بل نؤمن بما وصف سبحانه به نفسه، وبما وصفه به رسوله عليه الصلاة والسلام على وجه الحقيقة لا المجاز، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل: {وَلَهُ المَثَلُ الأعْلَى فِي السَّمواتِ وَالأرضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ} [الروم: 27].

فلا ننفي عنه شيئاً مما وصف به نفسه سبحانه، ولا نحرّف الكلم عن مواضعه، ولا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا، أو متوهمين بأوهامنا، بحجة التنزيه، فما سلِم في دينه إلا من سَلَّم لله عز وجل ولرسوله عليه الصلاة والسلام وردّ عِلم ما اشتبه عليه إلى عالمه، ولا تثبت قدم

الإسلام لأحد إلا على ظهر التسليم والاستسلام، فمن رام عِلْم ما حُظر عنه، ولم يقنع بالتسليم فِهْمُه، حَجَبه مرامه عن صحيح الإيمان وخالص التوحيد.

ونؤمن بأن الله أنزل كتابه بكلام عربي مبين، فلا نفوّض علم معاني الصفات وإنما نفوض علم الكيفيات، ونقول: {ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِنَا} [آل عمران: 7].

ونبرأ إلى الله من تعطيل الجهمية، ومن تمثيل المشبهة، فلا نميل إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، بل نتوسط ونستقيم كما أراد ربنا بين النفي والإثبات، فهو سبحانه {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} [الشورى: 11]، فمن لم يتوقَّ التعطيل والتشبيه، زلّ ولم يُصب التنزيه.

فنحن في هذا الباب -كما في سائر الأبواب - على ما كان عليه سلفنا الصالح أهل السنة والجماعة.

ومن ذلك ما أخبر الله به في كتابه وتواتر عن رسوله عليه الصلاة والسلام من أنه سبحانه فوق سماواته، مستوٍ على عرشه، كما قال تعالى: {ءَأَمِنْتُم مَّن فِي السَّماءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرضَ فإذا هِيَ تَمُوُر} [الملك: 16].

وكما في حديث الجارية التي سألها النبي عليه الصلاة والسلام: (أين الله؟)، قالت في السماء، قال: (من أنا؟)، قالت أنت رسول الله، قال: (اعتقها فإنها مؤمنة)[2].

وهذا حق لا مرية فيه عندنا، ولكن نصونه كما صانه سلفنا الصالح عن الظنون الكاذبة، كأن يُظن بأن السماء تظله أو تقله، فهذا باطل، اضطرنا إلى ذكره ونفيه وتنزيه الله عنه - وإن لم يتعرض له صراحة سلفنا - شغب أهل البدع وإلزاماتهم الباطلة لأهل السنة، فقد قال تعالى: {وَسِعَ كُرسِيُّهُ السَّمواتِ وَالأرضَ} [البقرة: 255]، وهو سبحانه: {يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأرضَ أَن تَزُولاَ} [فاطر: 41]، {وَيُمسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الأَرضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ} [الحج: 65]، {وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ} [الروم: 25].

ونؤمن بأنه سبحانه مستوٍ على عرشه، كما قال تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى} [طه: 5]، ولا

[2] رواه مسلم وأبو داود وأحمد، من حديث معاوية بن الحكم السلمي.

نــؤوِّل الاســتواء بالاســتيلاء، بل هو على معنــاه في لغة العرب التي أنزل الله تعالى بها القرآن ولا نشبه اســتواءه باستواء أحد من خلقه، بل نقـول كما قـال الإمـام مالـك: (الاســتواء معلــوم، والإيمــان به واجب، والكيف مجهــول، والسؤال عنه بدعة).

وعلى هــذا تُجــري ســائر صــفاته وأفعاله ســبحانه وتعالى، كالنزول والمجيء وغيره مما أخبر به سبحانه في كتابه، أو ثبت في السنة الصحيحة.

ونـؤمن بانه سـبحانه مع اسـتوائه على عرشه وعلـوه فوق سماواته قريب من عبـاده، كما قـال سـبحانه: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ} [البقرة: 186].

وفي الحديث المتفق عليـه: (أيها النـاس أربعـوا على أنفســكم، فــإنكم لا تــدعون أصم ولا غائبــاً، إنما تــدعون سميعاً بصيراً قريبـاً، إن الـذي تدعونه أقـرب إلى أحـدكم من عنق راحلته).

فهو سبحانه مع عباده أينما كانوا يعلم ما هم عاملون، كما قال تعالى: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [الحديد: 4]، ولا نفهم من قولـه: {وَهُـوَ مَعَكُمْ}ح مراد الزنادقة من أنه مختلط بعبـاده، أو حـالٌ ببعضـهم أو متحدٌ بهم، ونحوه من عقائد الكفر والضـلال، بل نــبرأ إلى الله من ذلك كله.

وله سـبحانه مع عبـاده المؤمـنين معيّة أخــرى خاصة غير المعية العامة، هي معية النصـرة والتوفيق والتسـديد، كما في قوله تعالى: {إِنَّ اللهَ مَعَ الَّـذِينَ اتَّقَـوا وَالَّذِينَ هُم مُحْسِنُونَ} [النحل: 128]، فهو سبحانه مع اسـتوائه على عرشه، وعلوه فوق سماواته، مع عباده أينما كانوا يعلم ما كـانوا عـاملين، وهو قـريب سـبحانه ممن دعـاه، وهو مع عبــاده المؤمــنين؛ يحفظهم وينصــرهم ويكلــؤهم، فقربه سبحانه ومعيته لا تنـافي علـوّه وفوقيتَـه، فإنه ليس كمثله شيء في صـفاته سـبحانه، فهو عليٌّ في قربه قـريب في علوّه.

**ومن ثمــرات هــذا التوحيد العظيم، الــذي هو حق الله على العباد:**

- فــوز الموحد بجنة ربه والنجــاة من النــار كما في حديث معاذ بن جبل.

- ومنها؛ تعظيم الــرب وإجلاله بــالتعرف إلى صـفات كماله وجلاله، وتسبيحه وتنزيهه عن الشبيه أو المثيل.

- ومعرفة ســـفاهة من اتخـــذوا من دونه أنـــداداً أشركوهم معه في العبادة أو الحكم والتشريع.

- وتهافت وسقوط من أشركوا أنفسهم في شيء من ذلك، مع أنهم لم يشتركوا في الخلـق، ولا نصـيب لهم في الملك أو الرزق او التدبير.

- ومن ذلك تحرّر القلب والنفس من رق المخلوقين.

- وثبات العبد في الحياة الدنيا وفي الآخرة فليس من كــان يعبد شــركاء متشاكســين، يــدعوهم ويشــتت خوفه ورجــاءه بينهم، ليس هـذا كمن وحَّد ربَّه سـبحانه وجـرَّد له خوفَه ورجاءه وقَصْدَه وإرادته وعبادته.

فاللهم يا ولي الإسلام وأهله ثبتنا على توحيـدك حـتى نلقاك.

# الملائكة

ونــؤمن بملائكة اللــه، وأنهم عبــاد الله مكرمــون، لا يسـبقونه بـالقول وهم من خشـيته مشـفقون، يسـبحون الليل والنهار لا يفترون.

فنتــــــولاهم ونحبهم، لأنهم من جند اللـــــه، ولأنهم يستغفرون للذين آمنوا، ونبغض من يبغضهم.

ومنهم جبرائيل الـروح الأمين، وميكائيــل، وإســرافيل الموكل بـــالنفخ في الصــــور، ومنهم الموكلـــون بحمل العرش، وملك الموت، ومنكر ونكـير، ومالك خـازن النـار، ورضوان خـازن الجنـة، وملك الجبـال، والكـرام الكـاتبين، وغيرهم كثير، لا يحصيهم إلا الله تعالى.

فقد ثبت في الصــحيحين من حــديث أنس رضي الله عنه في قصة المعراج؛ أن النبي عليه الصلاة والسلام رُفع له البيت المعمور في السـماء، يدخله يصـلي فيه كل يـوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه.

وفي صحيح مسلم عن عائشة أم المؤمـنين أن النـبي صــلى الله عليه وســلم قــال: (خُلِقت الملائكة من نــور، وخُلق الجــان من مــارج من نــار، وخلق آدم مما وصف لكم).

وقد يتمثل الملك بــأمر الله على هيئة بشــر، كما في قصة مــريم، وحـديث جبريل حين سـأل النـبي صـلى الله عليه وسلم عن الإسلام، والإيمان والإحسان.

أما صورته الحقيقية؛ فقد ذكر الله تعـالى في القـرآن أنه جعل من الملائكة رســـلاً أولي أجنحة مثـــنى وثلاث وربــاع، يزيد في الخلق ما يشــاء إن الله على كل شــيء قـدير، وقد رأى النـبي عليه الصـلاة والسـلام جبريل على صورته الحقيقية وله ستمائة جناح قد سد الأفق.

**ومن ثمرات هذا الإيمان:**

- تعظيم الله تعالى فـإن عظمة المخلـوق تـدل على عظمة خالقه.

- ومن ثمراته؛ أن يستحيي العبد ممن معه من ملائكة الله تعالى.

- ومن ذلك أيضــاً؛ تثــبيت العبد المــؤمن الغــريب بالإيمـان، وعـدم استيحاشه لقلة الأنصـار بتـذكره أن معه من الله حافظين.

وفي صـحيح البخـاري عن أبي هريـرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله عليه السلام: (إن الله إذا أحب عبداً نادى جبريل إن الله أحب فلانـاً فأحبـه، فيحبه جبريـل، ثم ينــادي جبريل في الســماء إن الله أحب فلانــاً فــأحبوه، فيحبه أهل السماء، ويوضع له القبول في الأرض...).

فعلى العبد المــؤمن أن يحب ويتــولى من يحبهم الله وملائكته وعباده المؤمنين، وعليه أن يبغض ويعـادي ويـبرأ

ممن يبغضهم الله تعالى وملائكته وعباده المؤمـنين، فـإن ذلك من أوثق عرى الإيمان.

# الكتب

ونـؤمن بكتب الله تعـالى الـتي أنزلها سـبحانه على رسله جملة، ونـؤمن على سـبيل التفصـيل بما سـماه الله منها - كالتوراة والإنجيل والزبور –

وأن خاتمها القـرآن العظيم كلام رب العـالمين على الحقيقة، نزل به الروح الأمين على محمد صـلى الله عليه وسلم ليكون من المرسلين، مهيمناً على سائر كتب الله.

وهو منزل من الله تعالى وليس بمخلوق، ولا يُساويه شيء من كلام المخلوقين، ومن قال: {إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ البَشَر} [المدثر: 25]، فقد كفرُ وحقَّ عليه إن لم يرجع عن ذلك ويتوب قوله تعالى: {سَأُصْلِيه سَقَر} [المدثر: 26].

ونؤمن بأن الله كلَّم موسى تكليماً.

ونؤمن بأن الله تعالى حفظ كتابه من التبديل والتغيير، فقال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: 9].

وأن الله تعالى علّق النذارة به فقال: {وَأُوحِيَ إِليَّ هَذَا القُرْآنُ لأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ} [الأنعام: 19].

ونؤمن بأن كتابه هو العروة الوثقى وحبله المتين، الذي من استمسك به نجى، ومن أعرض عنه وهجره واتخذه ظهرياً؛ قد هلك وزل وضل ضلالاً مبيناً.

**<u>ومن ثمرات هذا الإيمان:</u>**

- أخذ كتاب الله بقوة، والتمسك به، وتعظيم أوامره والعمل بها، وعدم ضرب بعضها ببعض.

- والإيمان بمتشابهه، ورده إلى مُحْكمه، على طريقة الراسخين في العلم.

# الرسل والأنبياء

ونؤمن بأنبياء الله ورسله أجمعين الذين أخبر الله تعالى عنهم في كتابه، أو أخبر رسوله صلى الله عليه وسلم عنهم في سنته - من قص الله علينا خبرهم ومن لم يقصص - ولا نفرق بين أحد من رسله.

جمعهم جميعاً بأصل واحد كما قال سبحانه: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل: 36]، وقال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ

قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلاَّ نُوْحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: 25]، {رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} [النساء: 165]، وقال تعالى: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً} [الإسراء: 15]، وقال تعالى: {كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيْهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيْرٌ * قَالُوا بَلَى} [الملك: 8 - 9].

وعليهم هداية الدلالة والإرشاد، وليس بمقدورهم هداية قلوب العباد، فالقلوب بين أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء... وذلك أن الهداية نوعان:

**هداية دلالة وإرشاد؛** يملك بذلها الرسل والأنبياء والدعاة، قال تعالى: {وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيْمٍ} [الشورى: 52].

**وهداية توفيق وتسديد؛** وهذه لا يقدر عليها إلا الله، قال تعالى: {إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} [القصص: 56]، وقال سبحانه وتعالى: {لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ} [البقرة: 272].

وهذا النوع من الهداية؛ فضل من الله وعدل يهبه سبحانه لمن علم منه إقبالاً على الحق وطلباً له، قال تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِيْنَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} [العنكبوت: 69].

وقال صلى الله عليه وسلم : (ومن يتحَرَّ الخير يُعْطَه).

أما الأول؛ فمن عدل الله تعالى ورحمته أن بذله للخلق أجمعين.

ونؤمن بمعجزات الأنبياء ونحفظ لهم حقهم، ونتأدب معهم، ولا نفضل عليهم أحداً من الناس لا الأولياء ولا الأئمة، ولا غيرهم.

وهم مع ذلك بشر مخلوقون ليس لهم من خصائص الربوبية أو الألوهية شيء، بل تلحقهم خصائص البشرية من المرض والموت والحاجة إلى الطعام والشراب وغير ذلك... قال تعالى آمراً نبيه محمد عليه الصلاة والسلام أن يقول: {قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعَاً وَلا ضَرَّاً إِلاَّ مَا شَاءَ اللهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ

السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيْرٌ وَبَشِيْرٌ لِقَومٍ يُؤمِنُونَ} [الأعراف: 188].

ونؤمن بأن خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً، فلا نبي بعده، وشريعته هي الشريعة المهيمنة على سائر الشرائع إلى يوم القيامة.

ولا يكون العبد مؤمناً حتى يتبعها ويسلم لحكمها تسليماً، قال تعالى: {فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِيْ أَنْفُسِهِمْ حَرَجَاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً} [النساء: 65].

ونؤمن بأن الله قد اتخذ محمداً صلى الله عليه وسلم خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، بعثه رحمة للعالمين، وأمره وأمر أمته بالتأسي بملة إبراهيم فقال: {ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيْفَاً وَمَا كَانَ مِنَ المُشْرِكِينَ} [النحل: 123]، وقال سبحانه: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيْمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَومِهِمْ إِنَّا بُرَءَؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُوْنِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ العَدَاوَةُ وَالبَغْضَاءُ أَبَدَاً حَتَّى تُؤمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ} [الممتحنة: 4].

فنتأسى بذلك إلى أن نلقى الله، فنبرأ من المشركين وأنصارهم وأوليائهم، ونبغضهم ونبرأ مما يعبدون من دون الله، ونكفر بمناهجهم وأديانهم ومللهم الباطلة المخالفة لدين الله، ونظهر ونعلن ونبدي عداوتنا للمحادّين لله منهم، المحاربين للحق، المجاهرين بباطلهم، ولا يمنعنا ذلك من دعوتهم وبيان الحق لمن أراد سماعه منهم، وتمني هدايتهم.

**<u>ومن ثمرات الإيمان بالرسل:</u>**

- معرفة بعض نعم الله الجليلة على الخلق وشكره عليها، ومن أعظمها رحمته بهم بإرسال الرسل إليهم ليهدونهم سبيل الرشاد ويعرفونهم بما يوصلهم إلى الجنة وينجيهم من عذاب السعير.

- ومن ذلك محبة الرسل، والثناء والصلاة والسلام عليهم، والدعاء لهم على ما تحملوه من أذى أقوامهم، وما صبروا عليه من مشقات الدعوة.

- والاقتــداء والتأسي بهم في ذلــك، ومتــابعتهم على نهجهم وسنتهم، وسيرتهم ودعوتهم إلى الله.

ونحب بحب رسول الله صلى الله عليه وسلم آل بيته الأطهــار، وأصــحابه وأتباعه وأنصــاره إلى يــوم الــدين، ونتــولاهم ولا نــبرأ من أحد منهم، بل نبغض من يبغضــهم، وبغير الخير يــذكرهم، فلا نــذكرهم إلا بخــير، وحبهم عنــدنا دين وإيمان وإحسان نتقرب به إلى الله تعالى.

ونتميز عن أهل البدع بسلامة قلوبنا وألسنتنا لهم، ولا نمــلُّ من أن نــدعو بقوله تعــالى: {رَبَّنَا اغْفِــرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤوفٌ رَحِيمٌ} [الحشر: 10].

ونــبرأ إلى الله من طريقة الــروافض الــذين يبغضــون أصــحاب النــبي عليه الصــلاة والســلام ويســبونهم، ومن طريقة النواصب الذين يناصبون أهل البيت العداء.

ونعرف لعلي وفاطمة والحسن والحسين وســائر أهل البيت حقهم؛ فنحبهم ولا نغلوا فيهم:

واحفظ لأهل البيت واجب حقهم واعرف علياً أيما عرفان
لا تنتقص ولا تزد في قدره فعليه تصلى النار طائفتان
إحداهما لا ترتضيه خليفة وتنصه الأخرى إلهاً ثاني[3]

ونقول مع هذا كما قال النبي عليه الصلاة والســلام: (... من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه)[4].

فنبرأ ممن كفر وشرَّع أو ارتد وانحرف عن الصــراط، كائناً من كان نسبه.

ونمسك عمّا شــجر بين أصــحاب النــبي عليه الصــلاة والســــــلام، فهم في ذلك؛ بين مجتهد مصــــــيب، ومجتهد مخطىء، فلبعضهم أجر، ولبعضهم أجران.

---

[3] من نونية القحطاني.
[4] رواه مسلم وأحمد والترمذي وابن ماجه والدارمي.

قل خير قول في صحابة أحمد وامدح جميع الآل والنسوان
دع ما جرى بين الصحابة في الوغى بسيوفهم يوم التقى الجمعان
فقتيلهم منهم وقاتلهم لهم وكلاهما في الحشر مرحومان
لا تقبلن من التوارخ كل ما جمع الرواة وخطّ كل بنان[5]

وهم مع ذلك ليسوا بمعصومين، ولكنهم كما أخبر النبي عليه الصلاة والسلام؛ خير القرون، والمُدّ من أحدهم إذا تصدّق به خير من مثل جبل أحد ذهباً ممن بعدهم.

ونحب أنصار الدين في كل زمان إلى قيام الساعة؛ القريب منهم والبعيد، من عرفنا منهم ومن لم نعرف، ولا يضرهم ألا نعرفهم.

لا نبرأ من أحد منهم أو نعاديه أو نعامله معاملة غير المسلمين، بل نتولاهم وندعو لهم وننصرهم، ونجتهد أن نكون منهم.

[5] من نونية القحطاني.

# اليوم الآخر

ونـؤمن بفتنة القــبر، ونعيمه للمؤمــنين، وبعذابه لمن كان له أهلاً، كما جاءت به الأخبار متواترة عن رسـول الله صلى الله عليه وسلم، ولا نلتفت إلى تـأويلات أهل البـدع، وفي هذا قال تعالى: {النَّارُ يُعْرَضُـونَ عَلَيْهَا غُـدُوّاً وَعَشِـيّاً وَيَـومَ تَقُـومُ السَّـاعَةُ أَدْخِلُـوا آلَ فِرْعَـوْنَ أَشَـدَّ العَـذَابِ} [غافر: 46].

وعن زيد بن ثـابت عن النـبي عليه السلام قـال: (... فلـولا أن لا تـدافنوا لـدعوت الله أن يسـمعكم من عـذاب القــبر الــذي أسـمع منه)، ثم أقبل علينا بوجهــه، فقــال: (تعوذوا بالله من عذاب القبر... الحديث) [وهو في صحيح مسلم].

وفي حــديث الــبراء بن عــازب الطويل الــذي يرويه الإمـام أحمد وأبو داود؛ أن النـبي صـلى الله عليه وسـلم قال في المؤمن إذا أجاب الملكين في قـبره: (... فينـادي مناد من السـماء أن صـدق عبـدي، فافرشـوه من الجنـة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة. قال: فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره).

وفتنة القــبر؛ ســؤال منكر ونكــير للعبد فيه عن ربه ودينه ونبيه، فيثبِّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت... اللهم يا ولي الإسلام وأهله ثبتنا بالقول الثابت في الحيـاة الـدنيا وفي الآخرة.

وأما الكــافر فيقــول: (ها؟! ها؟! لا أدري)، ويقــول المنــافق والمقلد في دينه للأكثريــة: (لا أدري! ســمعت الناس يقولون قولاً فقلته).

وأحوال الـبرزخ من أمـور الغيب الـتي يـدركها الميت دون غيره، وهي لا تدرك بالحس في الحياة الدنيا، ولـذلك فالإيمان بها مما يميز؛ المؤمن بالغيب عن المكذب به.

ونؤمن بأشراط الساعة التي أخبر الله تعــالى بها في كتابه، وأخبر بها نبيه عليه الصلاة والسـلام في سـنته، من خروج الـدجال على الحقيقـة، دون التفـات إلى تأويل أهل البدع، وإن كنا نعتقد أن من جنس فتنته ما هو موجود في

كل زمـــان، إلى أن يـــأتي زمـــان خروجه على الحقيقة، ونـؤمن بـنزول عيسى ابن مـريم عليه السـلام وهو الـذي يقتله، وبطلوع الشمس من مغربهـا، وبخـروج دابة الأرض وسائر ما أخبر الله تعالى به، أو أخـبر به نبيه عليه الصـلاة والسلام.

ونـؤمن بـالبعث بعد المـوت، وجـزاء الأعمـال يـوم القيامة، والعـرض، والحسـاب، وقـراءة الكتب والمـيزان، قال تعـالى: {ثُمَّ إِنَّكُمْ يَـوْمَ القِيَامَـةِ تُبْعَثُـونَ} [المؤمنـون: 16]، فيقوم الناس لرب العالمين حفاة عراة غـرلاً غـير مختونين، قال تعـالى: {كَمَا بَـدَأْنَا أَوَّلَ خَلْـقٍ نُّعِيـدُهُ وَعْـدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ} [الأنبياء: 104]، وقال تعالى: {وَنَضَعُ المَوَازِيْنَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَـةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَـيْئاً وَإِن كَـانَ مِثْقَـالَ حَبَّةٍ مِنْ خَـرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِـبِينَ} [الأنبياء: 47].

ونـؤمن بحـوض نبينا محمد عليه الصـلاة والسـلام في عرصـات القيامـة، وأن مـاءه أشد بياضـاً من اللبن وأحلى من العسـل، وآنيته بعـدد نجـوم السـماء، وطوله شـهر، وعرضه شهر، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبـداً... اللهم يا ولي الإسلام وأهله لا تحرمنا منه.

وأنَّ أصـــنافاً من أمة محمد عليه الصـــلاة والســـلام سـيذادون عنـه، ويمنعـون من وروده في يـوم تـدنو فيه الشمس من رؤوس العباد، حتى يكون عـرق النـاس على قدر أعمالهم فمنهم من يكون إلى كعبه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكـــون إلى حقويـــه، ومنهم من يلجمه عرقه إلجاماً.

وممن يـذادون عنه ويمنعـون منه؛ أعـوان الأمـراء الظلمة، الذين دخلوا عليهم وصدقوهم بكذبهم، وأعـانوهم على ظلمهم، وكذلك يذاد عنه من بدل أو ابتـدع أو أحـدث في دين الله، ويومها يقول النبي صـلى الله عليه وسـلم : (سُحْقاً سُحقاً لمن بدل بعدي).

ونـــؤمن بالصـــراط المنصـــوب على متن جهنم، وهو الجسر الذي بين الجنة والنـار، يمر عليه النـاس على قـدر أعمـــالهم، فمنهم من يمر كلمح البصـــر، ومنهم من يمر كـالبرق، ومنهم من يمر كـالريح، ومنهم من يمر كـالفرس الجـواد، ومنهم من يمر كركـاب الإبـل، ومنهم من يعـدو عدواً، ومنهم من يمشي مشـياً، ومنهم ومن يزحف زحفـاً،

ومنهم من يُخطف خطفـــاً ويُلقى في جهنم، فـــإن على الجسر كلاليب تخطف النـــاس بأعمـــالهم، فمن مر على الصــراط دخل الجنة ونجــا... اللهم يا ولي الإســلام وأهله نجنا من النار.

فإذا عبروا عليه؛ وقفوا عند قنطـرة بين الجنة والنـار، فيُقتَصّ من بعضهم لبعض، فإذا هُــذِّبوا ونُقّوا، أذن لهم في دخول الجنة.

وأول من يســتفتح بــاب الجنة؛ محمد عليه الصــلاة والســـلام، وأول من يـــدخل الجنة من الأمم أمته عليه الصلاة والسلام.

ونؤمن بالجنة والنار، وأنهما مخلوقتـان لا تفنيـان - إلا أن يراد فناء نار الموحدين - وأن الله خلق لهما أهلاً، فمن شاء منهم فإلى الجنة بفضله، ومن شاء منهم فـإلى النـار بعدله.

والجنة دار النعيم التي أعدها الله تعالى للمؤمنين في مقعد صدق عند مليك مقتدر، فيها من أنواع النعيم المقيم ما لا عين رأت ولا أذن سـمعت ولا خطر على قلب بشـر، قـال تعـالى: {فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُـرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [السجدة: 17].

وأما النـار فهي دار العـذاب الـتي أعـدها الله تعـالى أصلاً للكـافرين، قـال تعـالى: {وَاتَّقُـوا النَّارَ الَّتِي أُعِـدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} [آل عمران: 131]، ويدخلها عصاة المسلمين، ولكنها ليست دارهم الـتي أعـدت لهم، ولـذلك إذا دخلوها لم يخلدوا فيها، بل يعذبون بقدر ذنـوبهم ثم مصـيرهم إلى الجنة التي هي دار المؤمنين.

ونؤمن بالشفاعة التي أذن الله تعـالى بها لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

**فله في القيامة؛ ثلاث شفاعات:**

**أما الأولى:** فشــفاعته في أهل الموقف كي يقضي بينهم، بعد أن يتراجع الأنبيـاء آدم ونـوح وإبـراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام عن الشفاعة، حـتى تنتهي إلى نبينا عليه الصلاة والسلام.

**أما الثانية:** فيشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنــة، وهاتان الشفاعتان خاصتان له عليه الصلاة والسلام[6].

**وأما الثالثة:** فشـــفاعته فيمن اســتحق النـــار من الموحـدين؛ أن يخـرج منهـا، أو لا يـدخلها، وهـذا النـوع له صـــلى الله عليه وســلم، ولســائر النبــيين والصــديقين والشـــهداء ونحـــوهم ممن أذن الله لهم، فيشـــفع فيمن اسـتحق النــار ألا يــدخلها، ويشــفع فيمن دخلها أن يخــرج منها.

ويُخــرج الله تعــالى من النــار أقوامــاً بغــير شــفاعة، بفضله سبحانه ورحمتــه، ويبقى في الجنة فضل، فينشــىء الله له أقواماً فيدخلهم الجنة.

والإيمـــان بالشـــفاعة؛ مزية نخـــالف بها الخـــوارج المخلّدين لأهل الكبائر في النار.

ونؤمن برؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة وفي الجنــة، كما قال تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِـرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَـاظِرَةٌ} [القيامة: 23 - 24].

وكما تواترت الأخبار بذلك عن رســول الله صــلى الله عليه وســلم؛ بـأن المؤمـنين يــرون ربهم يــوم القيامة كما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته، ولســنا نشــبه ربنا بشـــيء من خلقـــه، وإنما التشـــبيه هنا تشـــبيه الرؤية بالرؤية وضوحاً وحقيقة ودون مزاحمــة، لا تشــبيه المــرئي بالمرئي، فمن عُدِم البصيرة والإيمان بهــذا، فإنه لقمنٌ أن يُحرم هذه النعمة يــوم المزيــد، وهو ســبحانه مع هــذا؛ {لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَـارَ} [الأنعـام: 103]، وإنما أثبتنا ما أثبته الله سبحانه وتعالى من النظر إليه، وما أثبته نبيه محمد عليه الصـــلاة والســـلام من رؤية المؤمـــنين له ســـبحانه، والنظر والرؤية شـــيء دون الإدراك، فقف عند حدود الله، ولا تحمِّل نصوص الوحي ما لا تحتمــل، ولا تــرد شيئاً منها أو تعطله، فتزل بك قدم الهلاك.

**ومن آثار الإيمان بذلك:**

- عمل الجاد لتحصيل ما أعده الله تعـالى للمؤمـنين، والنجاة مما توعّد به الله العصاة والكافرين.

---

[6] وله صلى الله عليه وسـلم شـفاعة ثالثة خاصة بــه، وهي تخفيفه العذاب عن عمه أبي طالب، كما ثبت في الحديث.

- عدم الجزع لما يفوت المؤمن من حطام الـدنيا، أو ما يناله من أذى وبلاء ومصـائب لإيمانه ودعوته وجهـاده، بما يرجوه من عوض الآخرة ونعيمها وثوابها.

وغير ذلك من الثمرات الكثيرة، فليس الإيمان بذلك - كما يحسب كثـير من النـاس - أمـوراً معرفية علمية وحسب، بل هو إيمان، وتصديق، وإقرار يدفع إلى العمل.

# القدر

ونـؤمن بالقـدر خـيره وشـره، وأن الله خلق الخلق وقدّر لهم أقداراً وضرب لهم آجـالاً، وعلم ما هم عـاملون من قبل أن يخلقهم، فعلم ما كـان وما سـيكون، وما لم يكن؛ لو كان كيف يكون.

هـداهم النجـدين، فـأمرهم بطاعتـه، ونهـاهم عن معصيته، وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته.

ومشيئته تنفذ، لا مشيئة للعباد – إلا ما شاء لهم – فما شـاء لهم كـان وما لم يشأ لم يكن، يهـدي من يشـاء، ويعصم وينجي فضـلاً منـه، ويضل من يشـاء، ويُشـقي ويخـذل عـدلاً منـه، وكل العبـاد يتقلبـون في مشـيئته بين فضله وعدله، لا رادَّ لقضـائه ولا مُعقّبَ لحكمـه، ولا غـالب لأمره.

ما للعباد عليه شيءٌ واجبٌ كلا ولا سعيٌ لديه ضائعُ
إن عذبوا فَبِعَدْلِهِ أو نُعّموا فبفضله وهو الكبيرُ الواسعُ

والخير والشر؛ مقدران على العباد.

ولم يكلف الله العباد إلا ما يطيقون، ولا حول ولا قوة إلا بالله؛ أي لا حيلة لأحد، ولا تحـول لأحد عن معصـية الله إلا بمعونة الله سـبحانه، ولا قـوة لأحد على إقامة طاعة الله والثبات عليها إلا بتوفيق الله.

وكما أن المسبَّبات من قـدر الله الـذي فـرغ منـه، فكذلك أسبابها أيضاً من قدر الله الذي فرغ منه.

**والإيمـان بالقـدر على درجـتين؛ وكل درجة تتضمن شيئين:**

**فالدرجة الأولى:** الإيمـان بـأن الله علم ما الخلق عاملون، فسبق علمه في كل كائن في خلقـه، فقـدَّر ذلك تقـديراً محكمـاً، قـال تعـالى: {وَمَا يَعْـزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّـمَاءِ وَلا أَصْـغَرَ مِنْ ذَلِـكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِيْنٍ} [يونس: 61]، وقـال تعـالى: {وَخَلَقَ كُلَّ شَيءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْـدِيراً} [الفرقـان: 2]، وقـال: {وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرَاً مَقْدُورَاً} [الأحزاب: 38].

ثم كتب ذلك في اللـوح المحفـوظ، وضـمَّنه مقـادير الخلق.

عن عبادة بن الصـامت رضي الله عنه قـال: (يا بـني! إنك لا تجد حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصـابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله عليه الصـلاة والسـلام يقـول: "إن أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب، قال: رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقـادير كل شيء حتى تقوم الساعة"، يا بني! إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من مات على غير هـذا فليس مني")[7].

قـال تعـالى: {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللـهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّـماءِ وَالأرْضِ إِنَّ ذَلِـكَ فِي كِتَـابٍ إِنَّ ذَلِـكَ عَلَى اللـهِ يَسِـيرٌ} [الحج: 70].

وهـذا التقـدير يكـون في مواضع مجملاً، وفي مواضع مفصلاً، فقد كتب في اللـوح المحفـوظ ما شـاء، وإذا خلق الجـنين قبل نفخ الـروح فيه بعث إليه ملكـاً فيـؤمر بـأربع كلمات أن يكتبها؛ رزقه، وأجله وعمله، وشقي أم سعيد.

[7] رواه أحمد وأبو داود، واللفظ لأبي داود.

فلو احتمع الخلق كلهم على شـــيء كتبه الله تعـــالى فيه أنه كـائن، ليجعلـوه غـير كـائن، لم يقـدروا عليـه، ولو اجتمعـوا كلهم على شـيء لم يكتبه الله تعـالى ليجعلـوه كائنا لم يقـــدروا عليه، جف القلم بما هو كـــائن إلى يـــوم القيامة.

وما أخطأ العبد لم يكن ليصـــيبه، وما أصـــابه لم يكن ليخطئه.

**الدرجة الثانيـــة:** الإيمـــان بمشـــيئة الله النافـــذة، وقدرته الشـــاملة وأن ما شـــاء الله كـــان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه ما في السماوات والأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله سبحانه وتعـالى، ولا يكـون في ملكه إلا ما يريد.

ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسله ونهاهم عن معصـــيته، وهو ســـبحانه يحب المتقين والمحســـنين والمقسطين، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصـالحات، ولا يحب الكـــافرين، ولا يرضى عن القـــوم الفاســـقين، ولا يأمر بالفحشاء، ولا يرضى لعباده الكفر، ولا يحب الفساد.

فله سبحانه مشيئتان، وهما خلق الله وأمـره، وقدرته وشرعه، كما قال سبحانه وتعالى: {أَلا لَهُ الخَلْـقُ وَالأَمْـرُ} [الأعراف: 54].

**مشـــيئة شـــرعية؛** وهي أمـــره الشـــرعي الـــذي قد يُعصى سبحانه فيه ويُخالف.

**ومشـــيئة قدرية؛** فلن تجد لســـنة الله تبـــديلاً، ولن تجد لسنة الله تحويلاً، فلا يُعصى أمره الكوني القدري.

فتلك سنته شرعاً وأمراً، وهذه سنته قضاءً وقدراً.

وأفعال العباد؛ خلق الله وفعل العباد، فالعباد فـاعلون حقيقة، والله خالق أفعالهم، والعبد هو المؤمن أو الكـافر، والبر أو الفاجر، والمصلي والصـائم، وللعبـادة قـدرة على أعمـــالهم ولهم إرادة، والله خـــالقهم وخـــالق قـــدرتهم وإرادتهم، قـــال تعـــالى: {وَاللـــهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُـــونَ} [الصافت: 96]، وقال تعالى: {لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللـهُ رَبُّ العَـالَمِينَ} [التكـوير: 28 - 29]، وهذه الدرجة يكذب بها عامة القدرية وغلا فيها

قوم من أهل الإثبات، حتى سلبوا العبد قدرته واختياره وأخرجوا عن أفعال الله وأحكامه حِكمها ومصالحها.

فنحن وسط في القدر بين الجبرية والقدرية، فأفعالنا ومشيئتنا؛ مخلوقتان، والإنسان فاعل لأفعاله على الحقيقة مختار، له إرادة ومشيئة.

وهذا جملة ما يحتاج إليه في هذه المسألة من نَوَّر اللهُ قلبَه من أولياء الله تعالى.

فأصل القدر سر الله في خلقه، قد طوى الله تفاصيل علمه عن عباده، ونهاهم عن التعمق فيه، فقال في كتابه: {لا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسألُونَ} [الأنبياء: 23]، فمن سأل: لم فعل؟ فقد رد حكم الكتاب، ومن رد حكم الكتاب؛ فقد كفر وخسر وخاب.

وذلك أن العلم علمان:

علم أنزله الله تعالى في الخلق؛ فهو موجود.

وعلم حجبه الله عنهم؛ فهو مفقود.

فإنكار العلم الموجود؛ كفر، وادعاء العلم المفقود؛ كفر، ولا يثبت الإيمان إلا بقبول العلم الموجود، وترك العلم المفقود، ورده على عالمه الغفور الودود.

**ومن آثار الإيمان بالقدر وثمراته:**

- أن يتوكل المؤمن على الله حق التوكل، فلا يتخذ الأسباب أرباباً، ولا يتكل عليها، بل يخلص توكله على الله وحده، فكل شيء بتقديره سبحانه.

- ومنها؛ اطمئنان قلب المؤمن وعدم جزعه أو تحسره على ما يصيبه ويجري عليه من أقدار الله تعالى، فلا يأسى لفوات محبوب أو حصول مكروه، فكل ذلك بقدر الله تعالى، وما أصابه ما كان ليخطئه، وما أخطأه ما كان ليصيبه.

# الإيمان

والإيمان؛ عمل وقول ونية، فهو اعتقاد بالجنان وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح.

واعتقاد الجنان أو القلب؛ قوله، وعمله، فقول القلب؛ هو معرفته أو عمله وتصديقه، ومن أعماله؛ الرضى، والتسليم، والمحبة، والانقياد، والإخبات، ونحوه.

فالقول؛ قول القلب واللسان، والعمل؛ عمل القلب والجوارح، والتصديق يكون بالقلب، واللسان والجوارح[8].

والإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وله شعب - كما أخبر الصادق المصدوق - أعلاها؛ لا إله إلا الله، وأدناها

[8] كما في الحديث الصحيح: (... والفرج يصدّق ذلك أو يكذبه).

إماطة الأذى عن الطريق، وله عـرى كثـيرة، أوثقها؛ الحب في الله والبغض في اللــه، والمــوالاة في الله والمعــاداة في الله.

ومن شعبه؛ ما هو أصل الإيمان، يزول الإيمــان بزواله وينتقض، كشعبة التوحيد- لا إله إلا الله - والصـلاة، ونحوها مما نص الشارع على زوال أصل الإيمان وانتقاضه بتركه.

ومنها؛ ما هو من واجبـــات الإيمـــان، ينقص الإيمـــان الواجب بزوالها، كـالحب في اللـه، والبغض في اللـه، وأن يأمن جارُه بوائقَه، ونحوه مما يـأثم تاركـه، ومثله اقـتراف المحرمـات كالزنا وشـرب الخمر والسـرقة، وصـاحبه لا يكفر ولا يـزول عنه أصل الإيمـان، بل ينتقص بـذلك إيمانه الــواجب، فلا يكــون من المؤمــنين المســتحقين للوعد المطلق، السالمين من الوعيد.

ومن شـــعب الإيمـــان؛ ما هو من كمـــال الإيمـــان المســتحب، كإماطة الأذى عن الطريــق، وحسن العهد[9]، ونحوه مما هو من مكملات الإيمان المستحب فلا يأثم من أخل به.

وعليه فللإيمان أصل لا يصح الإيمان إلا به، وله كمـال واجب، وكمـــال مســـتحب، وكل نفي للإيمـــان ورد في نصوص الشرع فإما أن يراد به نفي أصل الإيمـان فيكـون صـاحبه كـافراً، كقوله تعـالى: {فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤمِنُـونَ حَتَى يُحَكِّمُوكَ فِيْمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِـهِمْ حَرَجَـاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً} [النساء: 65]، وإما أن يراد به نفي الإيمان الواجب - أي كماله الواجب - يكون صاحبه آثمـاً أو فاسـقاً، كقـول النـبي عليه الصـلاة والسـلام: (لا يـدخل الجنة من لا يـأمن جـاره بوائقـه)[10]، أو قولـه: (لا يــزني الــزاني حين يــزني وهو مــؤمن... الحـديث)[11]، أو قوله: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه).

وذلك لأن نفي الإيمان؛ صيغة وعيد، والوعيد لا يرد إلا في حق من فعل محرماً أو ترك واجباً، فإما أن يكـون من

---

[9] والمقصــود بحسن العهد هنا؛ الصــلة والإحســان كما في إقبــال النبي صلى الله عليه وسـلم واهتمامه بعجـوز، سـألته عنها عائشة رضي الله عنها فقـــال: (إنها كـــانت تأتينا زمن خديجة وإن حسن العهد من الإيمان).

[10] رواه مسلم.

[11] رواه البخاري ومسلم وأبو داود وغيرهم.

أصل الإيمـــان أو من الإيمـــان الـــواجب، ويتم التفريق والتمييز بين الـدلالتين هل هي دلالة على الكفر - انتقـاض أصل الإيمان - أو على الفسق - انتقـاص الإيمـان الـواجب -؛ بقرائن تعرف من النص نفسه، أو من نصـوص الشـارع الأخرى.

ومن انتقض إيمانه بشيء من نواقض الإيمان؛ فكفـر، لم تنفعه بقية شعب الإيمـان إن وجـدت عنـده، ومن أخل بالإيمان الوجب؛ فهو إلى مشيئة الله، إن شاء عذبـه، وإن شاء غفر له، ما دام عنده أصل الإيمان.

فلا نميل في بـــاب وعيد الله لا إلى المرجئة ولا إلى الخـوارج، كما لا نميل في بـاب أسـماء الإيمـان والـدين لا إلى الحرورية والمعتزلة... ولا إلى المرجئة والجهمية.

**<u>ومن ثمرات هذا الباب:</u>**

- الحرص على الطاعة والمبادرة إلى العمل الصالح، والمســبقة إلى الخــيرات، ليبقى إيماننا في ازديــاد، مع المحافظة دومـاً على أصل الإيمـان وتحصـينه، فإنه رأس المال وعروة النجاة الوثقى.

# الكفر

ونـــبرأ إلى الله من ضـــلال مرجئة العصـــر، وجهمية الزمـان؛ الـذين لا يـرون الكفر إلا في الجحـود والتكـذيب القلبي وحده، فهوَّنوا بذلك الكفر وسهّلوه، ورقّعوا للكفرة الملحدين، وأقاموا الشبه الباطلة التي تسوّغ كفر وتشريع الطواغيت.

ونعتقد أن قـــولهم: "أن المـــرء لا يكفر إلا بجحـــود قلـــبي"؛ قـــول بـــدعي، فـــالجحود - كما قـــرر علماؤنا

المحققــون - يكــون بالعمل والقــول، أي بــالجوارح، كما يكون بالقلب، والتصديق مثل ذلك.

والكفر أنــواع؛ فمنه كفر الجحــود، ومنه كفر الجهــل، ومنه كفر الإعراض.

ونواقض الإسلام كثيرة، ولحوق الرجل بـالكفر أسـرع من لحوقه بالإسلام.

وكما أن الإيمان عندنا؛ اعتقاد وقـول وعمـل، فكـذلك الكفر؛ يكون اعتقاداً، ويكون قولاً، ويكون عملاً.

ومن الكفر والظلم والفسق؛ ما هو أكـبر، ومنه ما هو أصغر، والقول بأن الكفر العملي؛ مطلقاً كفر أصـغر، وأن الخطأ الاعتقادي؛ مطلقاً كفر أكبر، قول بـدعيّ، بل الكفر العملي؛ منه الأصـــغر ومنه الأكـــبر، وكـــذلك الخطأ أو الانحــراف في الاعتقــاد؛ منه ما هو كفر أكــبر ومنه ما هو دون ذلك.

فمن أعمــال الجــوارح؛ ما أخــبر الله تعــالى بأنه كفر أكـبر، ولم يشـترط لـذلك أن يصـاحبه اعتقـاد أو جحـود أو استحلال، كالتشريع مع الله ما لم يأذن به الله، وكالسجود للشمس والأصنام، أو سب اللــه، أو الــدين، أو الأنبيـاء، أو إظهار الاستهزاء، أو الاستهانة بشيء من الدين.

ومنها؛ ما هو من المعاصي غـــير المكفــرة، الــتي لا تخرج صاحبها من دائرة الإســلام إلا أن يسـتحلها، كـالزنى والسرقة وشرب الخمر ونحوها.

ولا نقول: "لا يضر مع الإيمــان ذنب"، بل من الــذنوب ما ينقص الإيمـــان، ومنها ما ينقضـــه، ونـــبرأ من أقـــوال المرجئة المؤدية إلى التكــذيب بآيــات الوعيــد، وأحاديثه الواردة في حق العصاة من هذه الأمة، أو في حق الكفــار والمشركين والمرتدين.

ونـؤمن بـأن الميثـاق الـذي أخـذه الله تعـالى من آدم وذريته؛ حــق، وأنه سـبحانه خلق عبـاده حنفـاء فاجتـالتهم شـــياطين الجن والإنس عن دينهم، وشـــرعت لهم ما لم يــأذن به اللــه، وأن المولــود يولد على الفطــرة، فــأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه أو يشركانه.

ولـذلك نعتقد أن كل من دان بغـير دين الإسـلام فهو كـافر، سـواء بلغته الرسـالة أو لم تبلغـه، فمن بلغته؛ فهو كـافر معاند أو كـافر معـرض، ومن لم تبلغه؛ فهو كـافر جاهل، فللكفر درجات، كما أن للإيمان درجات.

ومع هـذا؛ فلم يكتف الله تعـالى بحجة الميثـاق والفطـرة على عبـاده، فأرسل إليهم الرسل يـذكرونهم بالميثاق الذي أخـذه الله عليهم، وأنـزل عليهم كتبه وجعل آخرها كتابه المهيمن عليها "القرآن الكريم"، الـذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفـه، وحفظه من التبـديل، وجعله حجة بالغة واضحة قائمة على كل من بلغه، فقـال: {وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنْذِرَكُم بِـهِ وَمَنْ بَلَـغَ} [الأنعـام: 19]، فـدين الله في الأرض والسـماء واحد هو دين الإسلام.

قـال تعـالى: {إِنَّ الـدِّينَ عِنْـدَ اللـهِ الإِسْـلامُ} [آل عمران: 19]، وقال تعالى: {وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْـلامَ دِيْنَـاً} [المائـدة: 3]، فنحن نـدين بـه، ونـبرأ من كل ما خالفـه، ونكفر بكل ما ناقضه وعارضه من المنـاهج الكـافرة والملل الباطلة والمـذاهب الفاسـدة، ومن ذلك بدعة العصر الكفرية "الديمقراطية"، فمن اتبعها وابتغاها فقد ابتغى غـير الإسـلام دينـاً، قـال تعـالى: {وَمَنْ يَبْتَـغِ غَيْـرَ الإِسْـلامِ دِينَـاً فَلَنْ يُقْبَـلَ مِنْـهُ وَهُـوَ فِي الآخِـرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [آل عمران: 85].

ولذا نكفِّر من شرّع مع الله وفقاً لدين الديمقراطية - تشـريع الشـعب للشـعب - كما نكفر من اختـار أو وكّل وأنـاب عن نفسه مشـرّعاً، لأنه قد ابتغى غـير الله حكمـاً ورباً ومشرّعاً، قـال تعـالى: {أَمْ لَهُمْ شُـرَكَاءُ شَـرَعُوا لَهُم مِنَ الـدِّينِ مَا لَمْ يَـأْذَن بِـهِ اللـهُ} [الشـورى: 21]، وقـال سبحانه: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابَاً مِنْ دُونِ اللـهِ... الآية} [التوبة: 31].

ومع هذا؛ فنحن لا نكفر عموم الناس المشـاركين في الانتخابـات، إذ ليس جميعهم يبتغـون في مشـاركتهم فيها أربابـاً مشـرّعين، بل منهم من يقصد إلى اختيـار نوابـاً للخدمات الدنيوية والمعيشية، وهـذا أمر عمَّت به البلـوى، واختلفت فيه مقاصد المنتخـبين الـذين لا يباشـرون ولا يمارسـون التشـريع كـالنواب، ولـذلك فنحن لا نبـادر إلى تكفير أعيـانهم كما نكفر أعيـان النـواب المباشـرين للكفر البواح من تشريع ونحوه.

ونقول: إن المشاركة في الانتخابات التشـــريعية عمل كفري... ولا نكفر بالعموم، بل نفرّق بين مقارفة الإنســان لعمل مكفــر، وبين تنزيل حكم الكفر عليــه، والــذي يلــزم فيه إقامة الحجة إذا أشــكلت الأمــور، والتبست الأحــوال، وورد احتمال انتفاء القصد في مثل هذه الأبواب[12].

ولا نطلق مقولـــــة: "ولا نكفر أحـــــداً من أهل القبلة بذنب"، بل نقيدها بزيادة: "غير مكفر ما لم يســتحله"، فلا نكفر بمطلق المعاصي والذنوب.

ونسـمي أهل قبلتنا؛ مسـلمين مؤمـنين، والأصل فيهم عنــدنا الإســلام ما لم يــأت أحــدهم بنــاقض ولم يمنع من تكفيره مانع.

ولا نقـــول بخلـــود أهل الكبـــائر من أمة محمد عليه الصلاة والسلام في النار إن ماتوا وهم موحدين، حتى وإن لم يكونوا من ذنوبهم تائبين، خلافــاً للخــوارج ومن تــابعهم من غلاة المكفرة، بل نقول؛ هم إلى مشيئة الله وحكمــه، إن شـــاء ســـبحانه غفر لهم وعفا عنهم بفضـــله، كما ذكر تعالى: {وَيَغفِـرُ مَا دُوْنَ ذَلِـكَ لِمَن يَشَـاءُ} [النسـاء: 48]، وإن شاء عذبهم بعدلـه، ثم يخرجـون من النـار برحمته، أو بشفاعة النبي عليه الصلاة والسلام التي ادخرها لأمتــه، او بشفاعة من يرتضي الله شفاعته من أهل طاعته.

فنحن وسط بين المرجئة والخـــوارج في بـــاب الوعد والوعيد، ووعده ووعيده حق كله.

والأخـــــــوّة الإيمانية؛ ثابتة لعمــــــوم أهل القبلة مع المعاصي والكبـــائر، كما نص الله تعـــالى على ذلك في الكتــاب فقــال: {إِنَّمَا المُؤْمِنُــونَ إِخْــوَةٌ فَأَصْــلِحُوا بَيْنَ أَخَـوَيْكُمْ} [الحجـرات: 10]، وقــال: {فَمَنْ عُفِيَ لَـهُ مِنْ أَخِيهِ شَيءٌ فاتِّبَاعٌ بِالمَعْرُوفِ} [البقرة: 178]، فلا نسـلب الفاسق الملي الإسـلام بالكلية - كما تقـول الخـوارج - ولا نُخَلّــده في النـــار - كما تقـــول المعتزلة - ولا ننفي عنه مطلق الإيمان ولا نصفه بالإيمـان المطلـق، بل نقـول؛ هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته.

ونرجو للمحســين من المؤمــنين أن يعفــوَ الله عنهم ويــدخلهم الجنة برحمتــه، ولا نــأمن عليهم، ولا نشــهد لأحد

[12] وقد فصــلنا ذلك في رســالتنا الثلاثينية في التحــذير من أخطــاء التكفير.

منهم بالجنة أو النـار - إلاَّ من شـهد له رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم وأخـبر عنه بـذلك - ونسـتغفر لمسـيئهم، ونخـــاف عليهم، ولا نُقَنِّطهم، والأمن والإيـــاس ينقلان عن ملة الإسلام، وسبيل أهل الحق - جعلنا الله منهم - بينهما.

ونـرحم عـوام المسـلمين من أهل القبلة، ولا نكلفهم فـوق طـاقتهم، فلا نشـترط للحكم بإسـلامهم أن يعرفـوا نـواقض الإسـلام أو يحفظـوا ويعـددوا شـروط "لا إله إلا الله"، بل يُحكم لهم بالإســـــــلام بتحقيق أصل التوحيد واجتناب الشرك والتنديد - ما لم يتلبسوا بناقض –

ونراعي شروط التكفير وننظر في موانعـه، كما ننظر بعين الاعتبـار إلى واقع الاستضـعاف الـذي يعيشـونه في ظل غياب سـلطان الإسـلام وحكمه ودولتـه، وما نجم من جهل وما عمّ من شــبهات لقلة العلم وذهـــاب العلمـــاء الربانيين.

وعلى هذا؛ فنحن لا نبرأ من عصاة المؤمـنين كبراءتنا من الكفـار والمشـركين والمرتـدين، بل عصـاة المؤمـنين داخل دائـرة المـوالاة الإيمانيـة، لا نخـرجهم منها ما دامـوا مسلمين، وإنما نبرأ من معاصـيهم وفسـوقهم وعصـيانهم، ولا نعاملهم معاملة الكفار.

ولا نُكفّر كل من عمل عند حكومـــــات الكفر منهم - كما هو شـــأن غلاة المكفـــرة - وإنما نكفّر من كـــان في عمله نـوع من أنـواع الكفر أو الشـرك، من مشـاركة في التشريع الكفري، أو الحكم الطاغوتي، أو تولٍّ للمشــركين والكفار، أو مظاهرتهم على الموحدين.

ونُفصّل في العمل عند الكفار، ولا نقول بأنه كفر كله أو حرام، بل من ذلك ما هو كفر، ومنه ما هو حـرام، ومنه ما هو دون ذلك، وكل وظيفة بحسبها.

ولا نحكم في أحكام الـدنيا إلا بالظـاهر الـذي ليس لنا الحكم إلا به، والله يتولى السرائر ويحاسب عليهـا، فليس لنا أن نشق عن قلوب الناس، ولا عن بطونهم.

ونتحـرز - كما تحـرز علماؤنا الأبـرار - في تكفـير أهل التأويل، خصوصاً إذا كان الاختلاف لفظياً أو في المسـائل العلمية التي يعذر فيها المخالف بالجهل.

وليس من منهجنا التعجل في التكفـــــير، أو التعجل بــترتيب آثــاره دون تثبّت أو تــبيّن، "فــإن إســتباحة دمــاء المصــلين الموحــدين خطر عظيم، والخطأ في تــرك ألف كافر، أهــون من الخطأ في ســفك محجمة من دم مســلم واحد"[13].

ونفــرق في أبــواب التكفــير بين كفر النــوع أو العمل المكفــر، وبين كفر المعين، وأنه قد يصــدر عن المــرء كفر ولا يلزمه حكمه ولا اســمه، إن اختل شــرط، أو قــام مــانع من موانع التكفـــير، ونعتقد أن من دخل الإســـلام بيقين؛ فإنه لا يجــوز أن يخــرج منه بالشك أو التخــرّص، فما ثبت بيقين لا يزول بالشك.

والبــدع؛ ليست كلها على مرتبة واحــدة بل منها ما هو من البـــــدع المكفـــــرة، ومن ذلك بدعة "الديمقراطية"، ومتابعة وابتغاء غير الله مشرعاً، من الأربــاب المتفــرقين، ومن البدع ما هو دون ذلك، فلا يصل إلى الكفر.

ونعتقد أن قاعــدة: "من لم يكفر الكــافر فهو كــافر"؛ إنما اســـتعملها أئمتنا للتغليظ والتنفـــير من بعض أنـــواع الكفر، ولم يســتعملوا فيها التسلسل البــدعي الــذي أحدثه غلاة المكفـــرة، وأنها ليست على إطلاقهـــا، وإنما فيمن كذّب أو ردّ بعدم تكفيره للكافر نصاً قطعي الدلالة قطعي الثبوت.

أما من لم يُكفِّر مَن ثبت عنــدنا تكفــيره، لكن يحتــاج في إنـــــزال الكفر على عينه إلى نظر في الشـــــروط والموانع والأدلة الشــرعية - كالحكــام بغــير ما أنــزل الله وعســـاكرهم مثلاً - فمن توقف في إنـــزال الكفر على أعيانهم لشبهات نصية عنده، فهذا لا تنطبق عليه القاعــدة المذكورة، إذ هو لم يكذب نصــاً شــرعياً ولا رده، وإنما لم يقدر على التوفيق بين الأدلة، أو قدم دليلاً على غــيره، أو نحو ذلك مما قد يقع فيه من قصّـــــر في علـــــوم الآلة والإجتهــاد، فهــذا ليس بكــافر عنــدنا ما دام خلافه معنا بالألفاظ والأســماء، إلا أن يــؤدي به ذلك إلى الــدخول في دين الكفــار أو نصــرته، أو إلى تــوليهم ومظــاهرتهم على الموحدين.

---

[13] أصل هــذه الجملة النفيسة من كتــاب الشــفا للقاضي عيــاض 2/277. نقلها عن العلماء المحققين وللغزالي مثلها.

ونعتقد أن اتباع المتشابه وترك المحكم؛ علامة من علامات أهل البدع، وأن طريقة الراسخين في العلم من أهل السنة؛ أن يردوا المتشابه إلى المحكم.

ولا نكفر بالمآل، أو بلازم القول، فلازم المذهب ليس عندنا بمذهب، كما أننا لا نكفر مخالفينا ومن بغى علينا من مرجئة العصر ونحوهم من المبتدعة الذين لا تصل بدعتهم إلى الكفر، ما دام تخليطهم وخلافهم معنا لفظياً، كالاختلاف المجرّد في مسمى الإيمان أو الكفر وتعريفهما.

ولا نكفرهم وإن افتروا علينا، وقوّلونا ما لم نقله، أو نسبوا إلينا ما نحن منه براء، فلا نعصي الله فيهم وإن عصوا الله فينا، ولا نكفرهم لإرجائهم إن كان من جنس إرجاء الفقهاء ما دام خلافهم معنا لفظياً، فلا نكفرهم إلا أن يؤدي بهم إرجاؤهم إلى ترك التوحيد والفرائض، أو إلى الكفر أو الشرك وتسويغه، أو إلى تولي الطواغيت ونصرتهم، أو المشاركة في تشريعهم، أو مظاهرتهم على الموحدين.

ونبغض جماعات الإرجاء التي ميّعت الدين، وشاركت أو سوّغت المشاركة في الحكم بغير ما أنزل الله، أو التشريع مع الله من خلال الديمقراطية، أو إظهار النصرة للمرتدين، ونبرأ من طريقتها، ونعتبرها جماعات بدع وضلالة، قد ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل، ونرى أن رؤوسها من الدعاة على أبواب جهنم، ومع هذا؛ فنحن لا نكفر من هذه الجماعات إلا من قارف الكفر منهم أو نصره أو سوّغه أو ظاهر أهله على الموحدين، ولا نكفرهم بالعموم.

ونحفظ لعلمائنا العاملين حقهم، وكذلك دعاتنا المجاهدين، الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله.

وتقرّ أعيننا بطلب العلم الشرعي، ونحب طلبته، ونبغض أهل الرأي، وأصحاب البدع، وأصحاب الكلام الذين يقدمون العقول على النقول، أو يقدمون استصلاحاتهم واستحساناتهم على نصوص الوحي.

ونبغض مدارس الطواغيت وندعو إلى اجتنابها، ولا نكفر من شارك فيها دراسة أو تدريساً، إلا أن يباشر ويشارك في كفر أو يسوغه أو يدعو إليه، ولا نمانع من

تعلم العلم الــدنيوي المفيد إن ســلم من المحظــور، ولا ندعو إلى تــرك الأسـباب، ونحث على تربية الـذراري على التوحيد، وتبصيرهم بأمر دينهم ودنياهم؛ ليكونوا لــدين الله جنداً صادقين وأنصاراً عاملين.

# دار الكفر ودار الإسلام وقاطنيها

ونقول بقول الفقهاء عن الدار إذا علتها أحكــام الكفر وكانت الغلبة فيها للكفار وشرائعهم؛ إنها دار كفر.

ولكننا نعتقد؛ بـأن هـذا اصـطلاح لا دخل له في الحكم على قاطني الديار في ظل غياب دولة الإسلام وسـلطانه، وتغلب المرتـــدين وتســلطهم على أزمة الحكمة في بلاد المسلمين، فإن هذا المصطلح يطلق على الــدار إذا علتها أحكـام الكفـر، وإن كـان أكـثر أهلها مسـلمين، كما يطلق مصــطلح "دار الإســلام" على الــدار الــتي علتها أحكــام الإســلام، وإن كــأن أكــثر أهلها كفــار، ما دامــوا خاضـعين لحكم الإسلام – ذمة -

فلا نؤصل على هذه المصطلحات أصولاً فاســدة، كما يفعل غلاة المكفــرة، كمقولة؛ "الأصل في النــاس اليــوم الكفر مطلقــاً"، ولا نتبــنى شــيئاً من ذلــك، بل نعامل كل إمرىء بما ظهر منه ونكل سرائرهم إلى الله، فنعامل من أظهر الإسلام به، ونحكم عليه بالإسلام، ونقــول إن الأصل فيمن أظهر شرائع الإسلام؛ الإسلام، ما لم يتلبّس بناقض، وكذلك نعامل من أظهر الكفر والشرك، وتولى المشركين وظـاهرهم على الموحـدين؛ بما أظهــر، حـتى يـؤمن بالله وحـــده، ويوحّد في عبادتـــه، وينخلع عما هو فيه من كفر ويبرأ منه.

وحلق اللحى أو التشـبه بالكفـار ونحـوه من المعاصي مما عمت به البلــوى وانتشر في هــذا الزمــان؛ لا يصــلح وحده أدلة للتكفير، فليست هذه أسـباباً صـريحة للتكفـير،

فلا نستحل بمثلها الدماء والأموال - كما يفعل غلاة المكفرة – "فإن استباحة دماء المصلين الموحدين خطر عظيم، والخطأ في ترك ألف كافر أهون من الخطأ في سفك محجمة من دم مسلم".

# الصلاة

ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة، وعلى من مات منهم، ما لم يتلبسوا بناقض ظاهر، ويمنع من تكفيرهم مانع.

ولا ننزل أحداً منهم جنة ولا ناراً.

ولا نشهد عليهم؛ بكفر ولا بشرك ولا بنفاق، ما لم يظهر منهم شيء من ذلك.

**ونواب الطواغيت[14] في الصلاة عندنا ما بين:**

- **متولٍّ لهم؛** فهو كجندهم وعساكرهم في نصرتهم، أو مسوِّغ لديمقراطيتهم مدافع مناصر لشركهم، فهؤلاء لا نرى الصلاة خلفهم، لأنهم منهم وليسوا منا بل ننهى عنها، ونأمر بإعادتها لمن صلى خلفهم، {وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً} [النساء: 141].

[14] ليس المقصود بالنواب هنا نواب البرلمانات المشرعين مع الله، فهؤلاء كفار لا تجوز الصلاة خلفهم، ولا نعمة ولا كرامة، ولكن المقصود بذلك أئمة المساجد، التابعين لوزارات الأوقاف، الذين أنابتهم الحكومات الطاغوتية لإمامة المسلمين.

- **أو مداهن مكثر لسـواد أوقـافهم وولايتهم الباطلة لأجل المعيشة والــدنيا؛** فلا تبطل الصــلاة خلفه، وحكم الصلاة خلف هؤلاء؛ كحكم الصـلاة خلف أهل الفسق وأصـحاب البـدع غـير المكفـرة، فنحن نكرهها ولا نبطلهــا، والصــلاة خلف أهل الســنة والتوحيد المظهــرين للسنة والبراءة من أهل الشرك والتنديد أحب إلينا.

والدعاء للحكام والسلاطين - كفارًا كانوا أم مسـلمين - من بــــدع الجمعة عنــــدنا، وعلامة على الــــدخول في طاعتهم، ونحن نكرهها وننكرها، والصـلاة خلف من يتركها من أهل السـنة أحب إلينـا، ولا نبطل الصـلاة بسـببها، ولا نــرى إعادتها، إلا أن يكــون الــدعاء صــريحاً بالنصــرة للطـواغيت أو لـدينهم الشـركي، فحكمهم حكم أنصـارهم وأجنادهم، فالنصرة باللسان صنو النصرة بالسنان.

ونعتقد أن العالم إذا بايع الطاغوت المشرّع أو الحاكم الكافر، فأعطاه صفقة يده وثمرة فؤاده، أو نصـره وتـولاه ودار معه في الفتوى حيث دار؛ بأنه كافر مرتد.

أما من تـــولى المناصب في حكومـــات الكفر من العلماء والمشايخ؛ فكل حسب منصبه.

- إن كان فيه كفر أو إعانة على كفر أو مشـاركة في التشــريع الكفــري أو نصــرة ومظــاهرة للمشــركين على الموحدين؛ فهذا كافر عندنا، وما طول لحيته أو عظم لقبه وشهادته وعمامته، بموانع للتكفير عندنا.

- وإن لم يكن في منصبه شيء من ذلك لكن كان فيه تكثــير لســواد الباطل وتلــبيس للحق به؛ فهــؤلاء من الرؤوس الجهال الذين ضلوا وأضلوا.

# الجهاد والخروج

والجهاد مـاض مع كل طائفة من المسـلمين، وللمـرء أن يجاهد وحـده أو مع الأمـراء بَـرّهم وفـاجرهم إلى قيـام الساعة، ولا تجوز طاعتهم في معصية الله، لكن يجـوز أن نقاتل من كفر بالله مع من عصى الله عند الحاجـــة، من باب دفع أعظم المفسدتين بأدناهما.

لكن الجهاد تحت الراية السـنّية الفاضـلة؛ أحب عنـدنا وأولى وأوجب، والجهـاد فريضة من الفــرائض، لا يعطله فقد إمام ولا انعدام دولة الإسلام.

ولا نرى السـيف على أحد من أهل القبلة الموحـدين، إلا من وجب عليه السـيف منهم بالـدليل القطعي، والعصمة ثابتة لهم بيقين، فلا تـزول إلا بيقين، "فاسـتباحة دمـاء المصـلين الموحـدين خطر عظيم، والخطأ في تـرك ألف كـافر أهـون من الخطأ في سـفك محجمة من دم مسلم".

ولا نرى الخروج على أئمة المسلمين وأمـرائهم وولاة أمرهم المسلمين وإن جاروا، ولا ننزع يداً من طاعتهم، ما أمـروا بـالمعروف، ونـرى طـاعتهم واجبة ما لم يـأمروا بمعصية، وندعو لهم بالهداية والصلاح.

ونــرى وجــوب الخــروج على أئمة الكفر من الحكــام الكفرة المتسلطين على رقـاب المسـلمين، وأنهم ارتـدوا عن الدين؛

- بتبديلهم الشريعة.

- والتشريع مع الله.

- والتحاكم إلى طواغيت الشرق والغرب.

- وتولي أعداء الله.

- ومعاداة دينه وأوليائه.

وأن الدعوة والعمل وبذل الجهد لأجل تغييرهم؛ فرض على المســلمين، كل بحسب اســتطاعته، ومن عجز عن حمل السلاح، لم يعجز عن نصرة من حمله ولو بالدعاء.

وأن الإعــداد المــادي والمعنــوي لــذلك واجب من واجبات الدين.

ونعتقد؛ أن قتــالهم أولى من قتــال غــيرهم، لأن كفر الردة أغلظ بالإجماع من الكفر الأصــلي، ولأن حفظ رأس المال مقدّم على الربح، ولأن جهاد الدفع مقدم على جهاد الطلب، ولأن البداءة بجهاد من يلوننا من الكفـار أولى من جهاد من هم أبعد.

وأيضـاً فما مكّن لليهـود ولا للنصـارى ولا لغـيرهم من الكفار في بلاد المسلمين وجعل أموال المسلمين وبلادهم نهبة لهم؛ إلا هؤلاء المرتدين.

ونـــرى أن المعطلين لجهـــادهم بشـــبهات متهافتة - كـدعوى عـدم الهجـرة أو التمـايز، أو عـدم وجـود الإمـام القــوام على أهل الإســلام - هم أهل جهالة وضــلالة، قد أفتوا بغير علم فضلّوا وأضلّوا، وخـذلوا الـدين وخـذّلوا عن نصرته.

بل نعتقد؛ أن قتالهم على كل حال وخلعهم وتغيــيرهم حتى يكون الـدين كله لله؛ من أوجب الواجبـات، والهجـرة اللازمة لذلك إنما هي الهجرة إلى الله بالتوحيـد، والهجـرة إلى رسوله صلى الله عليه وسلم بالمتابعة.

والإعــداد الجــاد والمتكامل لمثل هــذا العمل؛ واجب عندنا، وهو أولى من الأعمال الفردية والجهود المبعثرة.

وإذا كان القيـام عليهم والسـعي لتغيـيرهم لا يجب إلا على المسـتطيع، فشـرط الوجـوب ليس شـرطاً للجـواز، فيجـوز أن يقـاتلهم المـرء ولو وحـده، وإن أيقن الشـهادة وعدم الظفر، فالجهاد عبادة وفريضة مشـروعة إلى قيـام السـاعة لا يبطلها شـيء، فيجــوز بــذلها في كل وقت، كالصدقة في نسبتها إلى الزكاة.

فالجهاد هو المدرسة الـتي تـتربى من خلالها القاعـدة العريضة وتترسخ بها الأسـاطين المتينة الـتي عليها قـوام هذا الدين.

# الطائفة المنصورة

ونـؤمن بما أخـبر به النـبي عليه الصلاة والسـلام عن الطائفة المنصورة، حيث قـال: (لا تـزال طائفة من أمـتي يقـاتلون على الحق ظـاهرين إلى يـوم القيامة)، قـال: (فيـنزل عيسى بن مـريم عليه السـلام، فيقـول أمـيرهم: تعـال صَـلِّ لنا فيقـول: لا إن بعضـكم على بعض أمـراء تكرمة الله لهذه الأمة)، [رواه مسلم عن جابر مرفوعاً].

وقـال: (لا تـزال عصـابة من أمـتي يقـاتلون على أمر الله عز وجل قاهرين لعدوهم، لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم السـاعة وهم على ذلك) [رواه مسـلم عن عقبة بن عامر مرفوعاً].

وعن سـلمة بن نفيل الكنـدي رضي الله عنه قـال: (كنت جالساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقـال رجل: يا رسول الله أذال النـاس الخيل ووضـعوا السـلاح! وقالوا: لا جهاد قد وضعت الحرب أوزارهـا، فأقبل رسـول الله عليه الصلاة والسلام بوجهه وقـال: "كـذبوا، الآن جـاء

دور القتال، ولا يـزال من أمـتي أمة يقـاتلون على الحـق، ويزيغ الله لهم قلوب أقـوام، ويـرزقهم منهم، حـتى تقـوم الساعة، وحـتى يـأتي وعد اللـه، والخيل معقـود بنواصـيها الخير إلى يوم القيامة، وهو يـوحى إلي أني مقبـوض غـير ملبث وأنتم تتبعـوني أفنـاداً يضـرب بعضـكم رقـاب بعض، وعقر دار المؤمـنين الشـام") [حـديث صـحيح، رواه أحمد والنسائي].

فهي طائفة تمثل أنصـار هـذا الـدين في كل زمـان، وهي طائفة مجاهدة مقاتلـة، تسـعى لنصـرة دين الله من كل وجوه النصرة... فنسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهلها وأن يختم لنا بالشهادة في سبيله.

## وبعد...

فهذا ديننا واعتقادنا، ظاهراً وباطنـاً، دينـاً وسـطاً بين الغلو والتقصـير، وبين التشـبيه والتعطيـل، وبين الجـبر والقدر، وبين الأمن والإيـاس، لا إلى أهل الإفـراط ولا إلى أهل التفريط.

نبرأ إلى الله من كل دين وملة ونحلة سـواه، ونسـأله تعالى أن يثبتنا على الإيمان، وأن يختم لنا به، وأن يعصمنا من الأهواء المختلفة والآراء المتفرقة والمذاهب الردية.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وكتب
**أبو محمد المقدسي**
جمادى الآخرة / سنة 1418

من هجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام

# منبر التوحيد والجهاد

* * *

otth
otth
otth
otth
otth